اللحظة الأخيرة

أوحش الأهل و الحمى والخليلا

و تولى من كان للفضل غيلا

سائلوا الدار بعده كيف أمست

و سلوا العيش كيف عاد وبيلا

صاح لا يخدعنك للدهر بشر

إن للدهر سنة لن تحولا

فإذا افترّ ثغره لك يوما

أعقبتك الأيام حزنا طويلا

و إذا جاد ساعة ضن أخرى

إنه لقب الجواد البخيلا

ما لقومي نفوسهم تتلظى

حسرة أو تكاد تفضي ذهولا

ما لأجفانهم تكاتم عيني

عبرات أبين إلا نزولا

أي كثر فقدتم أي دمع

تستحثونه مهينا ذليلا

نبأ ما استوى على الحق حتى

ودع الصبر و العزاء الجميلا

وكأن الرجال في يوم عصف

ينشدون الرجاء و المأمولا

يمقتون الحياة و العاشقيها

ويذّمون وصلها المستحيلا

وكأن النساء كل له أم

وكل منهن بات ثكولا

يتبرجن بالوجوه اللواتي

ما رأتها الشموس إلا قليلا

لا تلمهن في الجليل من الحزن

فقد صار خطبهن جليلا

خرج النعش بالرزانة يمشي

بين دمع ما اعتاد يوما مسيلا

يتهادى و يدفع الجمع دفعا

و يشق التسليم و التقبيلا

بين باك و بين آخر يطوي

وجعاً بين جانبيه دخيلا

يا سرير المنون ويك أجبني

ما رأيناك للبدور حمولا

درة ما حملت أم هبة أم

عظة أم حملت فضلا جزيلا

أيها الموكب المقل لإسماعيل

رحماك قف جزيت جميلا

لم أقف راثيا فلما دهتني

علمتني وفاته أن أقولا

قف نر اللحظة الأخيرة منه

أو نسله إن اعتزمت الرحيلا

عن عمل كل عبء و قمنا

نحمل الرزء فادحا و ثقيلا

ما رأى الناس قبل يومك مما

مر من فادح الخطوب مثيلا

قد-لعمري- ذهبت جم الأماني

و طرحت الشباب غضا جميلا

و نفضت الأكف من وطر العيش

و لما تنل من العيش سولا

ذاك ود الحياة لم يك إلا

حلما كاذبا و لحظا ختولا

عشت فينا ما عشت لم نر إلا

الخلق السمح صاحبا و خليلا

ما في المكارم إلا

كنت أسمى هوى و أزكى ميولا

آنس الناس مجلسا و أعف الناس

نفسا و أطيب الناس قيلا

عشت لم ترم بالضغينة حتى

أودعوك التراب عضبا صقيلا

إن تولت أولاد حمزة تحثو

فوقها الترب أو تشق الذيولا

وقضت نحبها عليك انتحابا

فلقد ودعت فتاها النبيلا